السعي نحو الجمهورية

الحجاز الكبير منطلقا ونموذجا

راكان آل عايض

١٤٤٧ هـ | ٢٠٢٦ م

اسْمعُوها جُملةً أَقومُ قِيلا:

اتْرُكوا إِبلِيسَ يَرتاحُ قَليلا

وارْجُموا آلَ سَعُودْ

(أحمد مطر)

السعي نحو الجمهورية

الحجاز الكبير منطلقا ونموذجا

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد أن نشرنا الحوار السابق المعنون بـ"القضية الحجازية: بحث عن الهوية"، فقد تلقّينا مجموعة من الأسئلة الجيدة، فارتأيت بعد أن أجبتُ عليها أن أضعها في كتيّب آخر كان هو ذا، وأرفقت معها بضعة مقالات قصيرة في آخر الحوار بما يدعم الإجابات، ودون خروج عن سياق الحوار.

وإننا إذ ننشر هذا العمل الثاني فيما يتعلق بقضية الحجاز، فإننا نستحثّ بقية الحرائر والأحرار لينضمّوا إلى الركب ويساهموا معنا بكل ما لديهم مما يمكن أن يخدم قضية التحرّر والسعي نحو الجمهورية الإسلامية في الحجاز الكبير، والتي نعتبرها مجرد بداية ومنطلقًا ونموذجًا يُحتذى به في بقية الأقاليم، ولا يتوقف عنده.

لقد حاولنا ما أمكن أن نوضّح أفكارنا وما ندعو إليه.. وما ندعو إليه بالتحديد يتمثّل، باختصار شديد، في سعينا المشروع الحثيث

نحو تفكيك الكيان السعودي الغاصب والدعوة إلى تأسيس جمهورية إسلامية في الحجاز الكبير (كمنطلق ونموذج) بعد تحريره من قبضة الاحتلال السعودي الوهابي، وذلك دعمًا لسكان الحجاز الكبير بكل مكوّناته، وإيمانًا بحقهم في تقرير المصير، وهذا حق تكفله الشريعة الغراء كما الضمائر الحرة في العالم كله.

وقد كانت هذه مساهمتنا المتواضعة على هذا الطريق، وإسنادًا لقضية عادلة كهذه، آملين بأن نكون قد أحسنّا التعبير عما يجول في خواطرنا بشفافية ووضوح ومباشرة وصدق، والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين.

الأسئلة

[1]. ما مفهومك للوطنية، وللعلاقة بين الأرض والهوية، ولأحقية المواطنين في المشاركة السياسية؟

***

الحقيقة أن هذه من بين أهم وأعقد القضايا التي يمكن الحديث عنها، لا سيما في عصرنا الراهن؛ وقد سبق لي، بحمد الله، أن توسعت فيها في كتابي «المرجع الأعلى في الإسلام»، غير أنه لا مانع من الإجابة بشيء من التفصيل -دون تطويل- في هذا المقام.

الوطنية، كمفهوم، هي متعلقة من حيث الأصل بالوطن، ومنها اشتُقّت الكلمة، أي إنه لا معنى لكلمة وطنية بمعزل عن أصلها، وهو الوطن.

وعليه يكون معنى الوطنية هو الشعور بالانتماء والولاء المطلقين للوطن، أيًا كان ذلك الوطن، بحيث تصبح الوطنية قيمة مطلقة "وصفة مدح" تُطلق على كل من جعل وطنه فوق كل شيء. وهذا ما يتجلى أمامنا في الواقع.

وما أكثر الأشخاص الذين عُدّوا أبطالًا وزعماء وطنيين، في حين هم في حقيقتهم مجرمو حرب ومحتلون وغاصبون.

ولنتأمل هنا، فيندر أن تجد في بريطانيا -على سبيل المثال- من لا ينظر إلى وينستون تشرشل كبطل وزعيم وطني، بغض النظر عن مسؤوليته، مثلًا، في مجاعة 1943 في الهند، وتجاهله لنداءات الاستغاثة لنجدة الملايين؛ التي كان رده عليها حينئذ، كما ورد في مذكرات مسؤولين بريطانيين سابقين إبان الاحتلال البريطاني للهند، قوله: "هم فعلوا ذلك بأنفسهم، فهم يتكاثرون مثل الأرانب". وكان ذا عقلية إمبريالية عنصرية ترى تفوق الجنس البريطاني عما سواه... وهذا جزء قليل من تاريخ حافل بالجرائم، لا تخفى على أحد... لكن كل ذلك يُبرَّر لأنه إنما كان في سبيل الوطن "البريطاني" الذي كان إمبراطورية آنذاك.

ونفس الأمر ينطبق اليوم على بنيامين نتنياهو (رئيس وزراء كيان الاحتلال الصهيوني) الذي أباد غزة، وهو يرفع شعار "الدفاع عن الوطن"، وعن ما يسميه "الحضارة الغربية".. ولا يشكك أحد في

مدى إخلاص بوش الابن، مثلًا، لأمريكا عندما احتل العراق وقتلوا مئات الآلاف من المدنيين، وظلوا ينهبون ثروات العراق على مدى عقدين من الزمن متواصلين... كل ذلك في سبيل الوطن. وهؤلاء المجرمون هم، بلا شك، وطنيون طبقًا لمعنى الوطنية.

لكن ذلك كله، جملةً وتفصيلًا، يتعارض مع جوهر الإسلام وقيمه ورسالته وتعاليمه. لا يوجد في كتاب الله شيء يقول لك: اقتل فلانًا من أجل الوطن، أو من أجل أنه غير متبع لك.

في كتاب الله هناك مبرر وحيد للقتل اختصرته هذه العبارة: {النفس بالنفس}، أي القصاص، أو الإفساد في الأرض الذي يكون مشتملًا على القتل المصحوب بسرقة أو اغتصاب أو استعباد أو أو أو ... إلخ.

أما عدا ذلك فدم أي إنسان حرام؛ وقد جعل الله أغلظ العقوبات على من قتل إنسانًا آمنًا متعمدًا... ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]، واعتبر من قتل نفسًا واحدة كأنما

قتل الناس جميعًا... ﴿..مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا..﴾ [المائدة: 32].

ومبررات القتال في الإسلام محدودة جدًا، وتتمثل في: رد العدوان ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، نصرة المستضعفين ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: 75]، وحتى لا يكون هنالك إكراه [فتنة] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193] (أي حتى لا يُفتن إنسان ما، بمعنى يُكره على اعتناق أو ترك دين ما).

ولا نجد مطلقًا في كتاب الله هذه الفلسفة المادية الوحشية التي تتبناها الجيوش والأجهزة الأمنية حول العالم: "نفِّذ ثم ناقش"، أي اقتل ثم اسأل عن سبب قتلك لهذا الإنسان أو ذاك. في الإسلام، الإنسان ليس إمّعة يُقاد بعمى؛ إن قيل له: اقتل، قتل،

وإن قيل له: كفّ، كفّ. بل هو مُحاسَب ومُساءَل على كل فعل يفعله، ولا يوجد ما يمكن القول عنه "إنه قتل شخصًا ما تحت الإكراه". حتى وإن كان تحت الإكراه، فالعذاب سينالـه حتمًا، وغضب الله ولعنته.

إن هذه النظرة للحياة في الإسلام تتعارض بشكل واضح وجلي مع مفهوم الوطنية الحديث؛ إذ لا يوجد لدى المسلم شيء من قبيل "يقاتل من أجل مصالح الوطن". أي مصالح هي تلك؟ القتال، كما ذكرنا وكما هو واضح في القرآن، مبرراته محددة: رد العدوان، نصرة المستضعفين، ورفع الإكراه الديني عن الناس.

إن الخلاصة المهمة في هذا هي أن الإنسان المسلم مدفوع ومقاد بالقيم التي منبعها القرآن، لا بالمصالح ولا الأهواء والنزوات؛ وبناءً على ما تقدم يأتي الجواب على الشق الثاني من سؤالك، وهو عن علاقة الإنسان بالأرض ومحددات هويته، فنقول إن الإسلام، بما هو منظومة أخلاقية قيمية وتشريعية وثقافية وسلوكية، وبما هو فلسفة شاملة للحياة والوجود ككل، فإنه هو المُقدَّم على

كل شيء، وهو المحدد الأساس والعنصر الجوهري الذي يحدد ويرسم هوية الإنسان المسلم.

هذا لا يعني حرمة أن يحب الإنسان أرضه أو مكانًا معينًا أحبه، ولا يعني انتفاء ما يسمى بالوطن من حيث هو المساحة الجغرافية التي تعيش عليها مجموعة بشرية ما تحت نظام واحد اصطلحت عليه، يتشاركون فيه إدارة شؤونهم بالتساوي {شورى بينهم}. لا، ولكن المحرم والمحظور هو تقديم شيء من ذلك على الإسلام بما هو الانتماء والهوية والوطن الحقيقي للإنسان المسلم، الذي هو -كما بينا- إنسان مدفوع ومعلَّق أبدًا بعالم القيم.

وعليه، فالدعوة إلى تأسيس جمهورية في الحجاز الكبير من حيث الأصل ليس فيها تعارض مع كلامنا؛ إذ إنه من الطبيعي أن نسعى للاتفاق على شكل النظام الذي نعيش في ظله، وكذلك تحقيق آلية واضحة لإدارة الشأن العام في الأرض التي ولدنا عليها قدرًا لا اختيارًا، تطبيقًا للقيمة الإسلامية الكبرى: ﴿..وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ..﴾ [الشورى: 38]. ولكل من هو ضمن تلك

الجمهورية أن يشارك في الشأن العام ما دام بالغًا عاقلًا واعيًا (وذلك يشمل، بطبيعة الحال، حتى المقيمين إقامة دائمة، فهم كغيرهم متأثرون بأي تغيير في البلد، فمن حقهم المشاركة، ولهم حق الحصول على ما يسمى بالجنسية إذا قضوا سنوات معينة أو وُلدوا هناك، وهذا معمول به في معظم الدول الديمقراطية في العالم)، دون تقديس للحدود الجغرافية لتلك الجمهورية (فهي متغيرة) ولا للكيان نفسه.

هذا إن قامت على أسس إسلامية، وهو ما ندعو إليه؛ ومعناه أن الانتماء عندها لن يكون للجمهورية ككيان سياسي، بل للأسس التي قامت عليها، وأي مخالفة لتلك الأسس تُسقط عنها إسلاميتها.

وحدود تلك الجمهورية تُقرَّر بإرادة أهل الأرض (بما يشمل كل من يعيش عليها)، لا بالفرض عليهم؛ لتكون معبرة عن إرادة اجتماعهم ووحدتهم.. وفي حال وقع عدوان عليهم بعدئذ، فقتالهم لا يكون في سبيل الحدود بما هي تراب وحجارة، وإنما

لقيمة أنها تمثل اختيارهم وحريتهم ورمز إرادتهم، فيكون القتال عند اقتضائه في سبيل القيم نفسها، وعلى رأسها قيمة الحرية، لا من أجل التراب أو "الوطن" في ذاته.

وتلك الأسس تحتم هوية إسلامية تستوعب الجميع؛ فلا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا أبيض أو أسود، إن أكرمكم عند اللّٰه أتقاكم... ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وشرط "المواطنة"، إن جاز استخدام اللفظ هنا، هو الانتماء للإسلام بمعناه الشامل العام، والذي به يُشمل حتى غير المسلمين ما داموا مسالمين... ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].. وعلى أية حال، فإن هذه مسائل تحتاج إلى بسط كبير وتفصيل دقيق وشرح معمق، وهو متعذر هاهنا لضيق المقام.

[2]. ما هي الحدود الجغرافية التي ترى أنها تمثل ما تسميه في كتاباتكم «الجمهورية الإسلامية في الجزيرة العربية»؟ ومن هي الجهات أو القوى التي تعتقد أنها تقف في وجه هذا المشروع؟

***

ليس هنالك حدود ثابتة محددة؛ إذ إن المشروع برمته يعتمد على مدى تقبل الناس له أو رفضه في كل إقليم من أقاليم الجزيرة العربية، بمعنى أنه قد يحظى بقبول لدى سكان الحجاز مثلًا، ولا يحظى بذات القبول لدى أهل نجد.

عند ذلك ستكون حدوده غير مشتملة على نجد، وهكذا، لأن هذا المشروع يقوم بالأساس على رفض فكرة توحيد أقاليم الجزيرة العربية بالقوة، ويؤسس للمنهج الإسلامي الذي يقوم على حق الناس في كل إقليم في تقرير مصيرهم، فينضمون أو يستقلون باختيارهم لا بالفرض عليهم.

ونرى أن جمهورية الحجاز الكبير يمكن أن تشكل نموذجًا لما يمكن أن يطبق في بقية الأقاليم؛ هذا لأننا لا نقيد أنفسنا بنظام

مركزي موحد، إذ إننا لسنا منفتحين فقط على الفيدرالية، بل والكونفدرالية أيضًا في إطار الوحدة الإسلامية والأسس الإسلامية التي يقوم عليها الكيان السياسي الإسلامي.

وقد تحدثنا عن مشروع فيدرالي غير مركزي بالمعنى المتعارف عليه؛ وهو أن يكون لسكان كل إقليم من أقاليم شبه الجزيرة العربية إدارة ذاتية تحت مجلس شوري محلي، يرتبط بمجلس شوري اتحادي يقع في المدينة المنورة، ويكون لكل مجلس محلي معظم الصلاحيات لإدارة شؤون كل إقليم بما يقرره أهل ذلك الإقليم، بحيث لا يبقى لدى المجلس الاتحادي إلا قرارات تتعلق بالاتحاد العام، وهي منحصرة بقضايا السلم والحرب وتوزيع الثروة والسياسات الخارجية للجمهورية ككل. هذا جواب الجزء الأول من سؤالك.

أما من يقف في وجه هذا المشروع فهم آل سعود حتمًا، وأولئك الذين لم ينعتقوا بعد من إسار العبودية لآل سعود، ويخشون جراء دعوتنا الناس لتقرير مصيرهم أن يفقدوا ما يتمنون بقاءه كما هو؛

أي بقاء هذا الكيان الغاصب الذي أُسس على دماء المسلمين، وأُدخلوا فيه قسرًا لا اختيارًا، ولُقِّنوا عقيدة إجرامية تستحل دماء المسلمين وتعبّدهم للغاصبين والمحتلين.

[3]. هل ترى أن المجتمع في الجزيرة العربية متماه مع النظام السعودي إلى درجة أنه يشكّل عائقًا أمام أيّ تغيير سياسي؟ وكيف يمكن تحقيق تغيير حقيقي في ظل أغلبية تبدو منسجمة مع نظام ملكي استبدادي، ولا تمتلك تاريخًا واضحًا من الحراك الداخلي لنيل الحقوق الأساسية، فضلاً عن إسقاط النظام واستبداله بنظام جمهوري مدني يحتاج إلى دعم المجتمع وحمايته؟

***

نعم، أعتقد أن من يُسمّى بـ"الشعب السعودي" متماهٍ حدَّ الانصهار مع آل سعود، وكان ولا يزال العقبة الكبرى أمام مساعي الأحرار في جزيرة العرب عموماً.

لكن يجب هنا أن ننبّه إلى أن من نقصدهم هم أولئك الذين يتفاخرون بكونهم تابعين مملوكين لآل سعود، ولا يرون في أن يُسمَّوا بالشعب السعودي أي إهانةً لهم.

أما الأحرار الذين تحرروا من العبودية السعودية وكفروا بهذا الكيان الغاصب الفاقد لكل أشكال الشرعية، فلا شك أننا نحترمهم، ونعتقد أنهم موجودون ويتعاطفون معنا ومع ما ندعو إليه، غير أنهم غير منظّمين بعد، وبالتالي صوتهم محجوب ولا يصل إلينا.

ونحن، في كل الأحوال، إنما نسعى ونجاهد ونقاوم الظلمة والمفسدين في الأرض إيماناً بأن ذلك واجبنا الإسلامي الذي لا مفرّ منه، سواء استجاب الناس لنا وتفاعلوا معنا أم لم يفعلوا؛ فسعينا كله، حتى وإن لم يُؤتِ أُكُلَه، هو على الأقل "معذرة" إلى ربنا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164].

وأما عن مسألة أن هذا الشعب لا يمتلك سجلاً بالحراك الثوري الجذري الداخلي، فذلك ليس بالنسبة لنا مشكلةً كبيرة؛ فكل شعوب العالم التي ثارت، ثارت أول الأمر دون أن تسبق ثورتها

الأولى ثورة سابقة، ولكن كل تلك الثورات احتاجت، بكل تأكيد، إلى «ثورة ثقافية» قادت هي إلى الثورة على أرض الواقع.

وهذا الذي نعمل عليه نحن باستمرار، فمعظم كتاباتنا منصبّة في الحقل الفكري المعرفي؛ لأننا نؤمن بأن ثورة الأفعال لا بد أن تسبقها ثورةٌ في الأفكار. ولأنه تعالى يقول: ﴿..إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴾ [الرعد: 11].

[4]. هل تعتبر نفسك صاحب مشروع سياسي؟ وما هي طموحاتك المستقبلية ضمن هذا المشروع؟

***

المشروع السياسي الذي أتبنّاه وأدعو إليه ما هو إلا جزءٌ صغير من مشروعٍ أكبر، هو المشروع الفكري الذي نعدّه الأساس لأي عمل تغييري حقيقي. وقد بسطنا مشروعنا الفكري في عدة كتب، أهمها: كتاب «مفهوم الملك في القرآن»، وكتاب «المرأة المسلمة»، وكتابنا الأكبر والأهم «المرجع الأعلى في الإسلام؛ نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن».

أما عن طموحاتي ضمن مشروعي السياسي، فلا شك أنها كبيرة وعالية، ولا أتردد في الإفصاح عنها. وأتمنى من المولى سبحانه أن ييسّر لنا -في حال قبول الجماهير في جزيرة العرب عموماً أو حتى إقليم الحجاز الكبير على وجه الخصوص والابتداء- أن نكون من ضمن من يقود عملية تنفيذ ذلك المشروع وجعله واقعًا معاشًا. وهذا ممكن ومقبول بالنسبة لنا فقط في حال اختارنا الناس ورضوا بنا.

[5]. وكيف ترى قضية الحجاز في إطار مشروعك السياسي؟

***

لا شك أن قضية الحجاز محور رئيس في مشروعنا، وقد شرعنا مؤخرًا في محاولة بلورة أفكارنا ورؤانا حول مشروع جمهورية الحجاز الكبير، وهذا الكتيب الحواري يساهم في ذلك بشكل مباشر.

وما نسعى إليه باختصار هو أن يتحرر هذا الإقليم الذي يضم مكة والمدينة من قبضة المحتل السعودي الغاصب، ويعود

لسكان الحجاز الحق في حكم أنفسهم بأنفسهم "شورى بينهم"، في دولة جمهورية قائمة على أسس إسلامية، فلا تكون إقطاعية وراثية سلالية كما هو الحال عليه اليوم. وذلك عبر الدعوة لإنشاء مجلس تأسيسي (حتى وإن كان في الخارج) يشارك فيه أكبر قدر ممكن ممن يتبنون قضية تحرير الحجاز لإعلان مطالبنا المشروعة في التحرير وحق تقرير المصير، ووضع خارطة طريق واضحة للوصول إلى ما نرنو إليه، وهو تأسيس الجمهورية الإسلامية في الحجاز الكبير، وذلك على أنقاض الكيان السعودي الغاصب؛ إذ إنه لا مفر -إذا ما أردنا تحرير الحجاز أو أي إقليم من أقاليم جزيرة العرب- من الدعوة لتفكيك هذا الكيان السعودي الاحتلالي العنصري والهمجي.

وقد وُجِّهت إلينا تهم كثيرة، منها أننا انفصاليون، والحقيقة أننا لا نأبه بهكذا اتهامات. حسنًا، انفصاليون؟ وليكن. غير أن المهم هنا هو: انفصاليون عن ماذا؟ والجواب: عن كيان الغصب والإقطاع والتوريث، لا عن جسم الأمة المسلمة، بل إن ضمن ما نعتبرها معايير إسلامية للكيان السياسي هو وحدة الأمة -وهو ما سبق أن

أصّلنا له في كتاباتنا- عبر ترسيخ الهوية الإسلامية -في جمهورية الحجاز الإسلامية- المنفتحة على كل العالم الإسلامي دون تفرقة أو تمييز أو إقصاء، كما أن جنسية هذه الجمهورية وأساس الانتماء فيها ليست قائمة على ولا محصورة بـ: قومية أو عرق أو لون أو لسان محدد، وإنما على الانتماء الإسلامي العام؛ لكل مسلم وكل مسالم يرتضي العيش فيها ويتبنى القيم التي قامت عليها.

فهل هذا هو الانفصال؟ أم هو التقسيم العنصري البغيض الذي يمارسه ابن سعود منذ تأسس كيانه الإجرامي؟

لن نذهب بعيدًا في التاريخ وما فعلوه بالحجاز من تكفير وحصار وذبح وتهديم وتجويع وبقر لبطون الحوامل ...ووو إلخ، لنأخذ جولة في مواقع التواصل ولننظر كيف تُمارس صنوف العنصرية والتمييز ضد سكان الحجاز من قبل المسعوديين.

لم يدعوا شيئًا في الحجاز إلا وحاولوا تغييره إلى ما يناسب ذوق الغاصب السعودي مشوَّه الذوق والخلق، بدءًا بالأزياء ومرورًا باللهجات، بل وحتى الأكلات... إلخ، كل شيء في الحجاز

مختلف حاربوه، لقد حاربوا أهم ما تميز به الحجاز، ألا وهو تنوعه الكبير ضمن مظلة الإسلام.

إن الانفصاليين بحق هم آل سعود ومن يقف معهم ويحافظ على كيانهم الغاصب الهش الآيل للتفكك والزوال لا محالة، وهذا ما نعمل عليه دون كلل أو ملل (نعني تفكيك هذا الكيان)، ولا يخالج فكري ذرة شك في أن تفكيك الكيان الإقطاعي السعودي أمر محتوم وقريب، أقرب مما نتخيل ومما يتوقع أشد الناس تفاؤلًا بذلك.

[6]. هل أنت مطّلع على خطاب المعارضة السعودية؟ وهل تعتقد أنهم يؤثرون بشكل إيجابي في تثقيف الناس وتوعيتهم؟

***

نعم، أنا مطّلع وبشكل دقيق على خطاب المعارضة المسعودة؛ ولا أرى له على الإطلاق أي أثر إيجابي في تثقيف الناس وتوعيتهم بحقوقهم وما هو مطلوب منهم؛ بل إنهم يزيدون من حالة الجهل والتخلف القائمة ويعززونها لصالح بقاء آل سعود، ويسعون

جاهدين للحفاظ على هذا الكيان السعودي الغاصب المجرم مهما كلف الأمر، معتقدين بشرعية هذا الكيان الكفري وآملين في المشاركة في أي عملية سياسية صورية تحت إمرة آل سعود. وقد سبق أن بيّنا موقفنا من هذه المعارضة ووصفناها بالمسعودة، ذلك لأنهم لا يتحرجون من الانتساب إلى آل سعود والانضواء تحت هويتهم الوثنية الوهابية. وقلنا إنه بمجرد إعلانهم كفرهم بآل سعود وتحررهم من هوية الغصب والعار، سوف لن نعود إلى وصفهم بالمعارضة المسعودة.

ثم يجب أن أنبّه هنا إلى أن هذه المعارضة لا تملك حتى الآن أي تصور لما يسعون إليه، وأوضح ما يعلنون عنه هو أنهم لا يريدون سوى استبدال أمير بآخر من نفس العائلة الغاصبة؛ أي إن مشكلتهم ليست مع أن النظام نظام وراثي إقطاعي استبدادي، بل مع بعض الرموز فيه لا أكثر.

بمعنى أنهم لا يسعون لأي تغيير حقيقي؛ بل نجدهم يشنّون الحملات على الساعين للتغيير الجذري متهمينهم بنفس التهم

التي تصدر عن آل سعود وأذنابهم. وأؤكد أخيرًا على أننا نعرّف عن أنفسنا كمعارضة إسلامية لا سعودية، وأن أفقنا عالمي لا قومي محلي قطري، وأنه لا تحدّنا الحدود ولا تقيدنا التقاليد، ولا نحن ممن يقدّسون الأوطان ولا نرى لآل سعود أي شرعية على الإطلاق ولا لكيانهم الإقطاعي من أساسه، وكذا بقية كيانات الغصب والتوريث في عموم جزيرة العرب وعالمنا الإسلامي.

[7]. كيف ترون أهمية وجود المرأة في الحراك الفكري والسياسي؟

***

المرأة هي نصف المجتمع، وهي ركن أساسي في بناء الأسرة التي هي نواة المجتمع الأولى، وإن أي حراك نهضوي على أي مستوى يغفل ركنية وجود ودور المرأة فإن مصيره المحتوم هو الفشل.

ولذا فإننا نعتبر المرأة شريكًا أساسيًا في مشروعنا الفكري والسياسي، ولأننا مؤمنون حق الإيمان بذلك فقد خصصت ضمن هذا المشروع كتابًا بحاله تطرقت فيه لكل ما له علاقة بقضايا المرأة المسلمة وحقوقها، وعن دورها في كل مجالات الحياة

العامة، وهو بعنوان "المرأة المسلمة؛ بين تحرير الوحي وقيود الفهم"، وهو متاح للجميع للاطلاع عليه.

ملحق

(1)

أنا مسلم.. إذن أنا حر.. إذن أنا مدافع عن الحرية

لعلّ من أهمّ الأفكار التي سعيتُ، وما زلتُ، لإيضاحها وتسليط الأضواء عليها باستمرار، هي فكرة هوية الإنسان (الإنسان المسلم) وفقًا للفلسفة الإسلامية القرآنية. وهي فلسفة لا نظير لها؛ إذ تنقل الإنسان من مستوى المادية والبهيمية إلى سماوات القيم والتعاليم والأخلاق والتشريعات العلوية الإلهية. وذلك كالتالي؛ الإنسان المسلم هو مسلم بمعنى أنه سلّم نفسه وعقله وروحه لما أنزله الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز؛ وما في هذا الكتاب إنما هي تعاليم وتشريعات وقيم ومبادئ تُشكّل في مجموعها العقيدة الإسلامية التي تتمحور حول «لا إله إلا الله».

وعليه، فالإنسان المسلم هنا يُعرِّف عن ذاته، وتتحدد هويته من خلال تسليمه وإيمانه بهذه العقيدة التي، كما قلنا، هي عبارة عن

مجموعة من التعاليم والقيم والأخلاق والتشريعات، إلخ؛ أي إن هوية المسلم متعلقة بأمور مجردة غير حسية، غير مادية. فكما أن غير المسلم يُعرِّف عن ذاته ويُعبِّر عن هويته من خلال إما انتمائه لنسل معيّن أو من خلال صدفة أنه وُلد في وطن معيّن وثقافة معيّنة، فإن المسلم يُعرِّف عن ذاته وهويته من خلال قوله إنه مسلم، من خلال اختياره لا صدفة الولادة؛ أي إنه يؤمن -باختياره- بتلك المجموعة من التعاليم والقيم التي تُشكّل العقيدة الإسلامية، بغضّ النظر عن أصله وإثنيته وبلده ونسله، بل إنه لا أهمية لها في التصور الإسلامي على أي حال؛ اللهم إلا في سياق التعارف لا أكثر، التعارف الإيجابي التفاعلي الذي يقود إلى التواصل، وبالتالي التعايش والتعاون، لا التمييزي الإقصائي الذي هو واقع البشرية اليوم، حيث قد يُقتل الإنسان على أساس اللون أو الاسم في بقاع مختلفة حول العالم.

إذن، فالإنسان المسلم هو، قبل أي شيء آخر، "إنسان مسلم"، وهو مسلم إذا التزم بالعقيدة الإسلامية التي تُؤخذ من كتاب الله تبارك وتعالى، وهو مختار غير مُجبر ولا مُكره؛ فهو إذن يختار

هويته، لا تُفرض عليه كقدر لا محيد عنه. وحتى تتضح الفكرة جيدًا؛ لنأخذ هذا المثال: قيمة الحرية. وهذه القيمة في الإسلام هي من أعظم المقدسات، بل رأس كل المقدسات، وتتقدم على كل قيمة غيرها؛ إذ إن الإنسان، حتى يصحّ إسلامه من الأصل ويُقبل، لا يمكن أن يتم بغير أن يكون ذلك نابعًا من خيار الإنسان وقراره، وليس مُجبرًا على ذلك (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى). فلا يصحّ مثلًا وصف كثير من المسلمين بأنهم مسلمون فقط لأنهم وُلدوا في بيئة إسلامية، والواقع يُخبرنا بأن كثيرًا من أبناء وبنات المسلمين كافرون بكل تعاليم هذا الدين، وهم إنما مُجبرون على التظاهر بعكس ما يُبطنون درءًا لخطر القتل أو النبذ المجتمعي. وهذا واقع لا يُنكره إلا جاهل أو مكابر.

بينما عندما نعود إلى المنبع الأصيل لهذا الدين، وأعني به القرآن المجيد، فإن أول ما يلفت النظر هو أن هذا الكتاب كله إنما أُنزل من الأساس على الاعتراف بأن هذا الكائن المُنزَّل عليه هذا الكتاب هو كائن حر؛ له عقل، فُطر على أن يُميّز بين الأشياء، فلا

يجمع بين الشيء وضدّه، ويعرف أن الجزء أصغر من الكل، وأن لكل حادث بالضرورة سببًا، وأن الشيء إما أن يكون موجودًا أو غير موجود... وغيرها من مبادئ عقلية فطرية. فإنزال هذا الكتاب على هذا الكائن هو بحدّ ذاته أهمّ وأول اعتراف بحرية الإنسان وجدارتِه وحقّه في الاختيار، ومن هنا نرى جوهرية ومركزية وأسبقية قيمة الحرية في النظرة والفلسفة الإسلامية.

ثم بعد ذلك، عندما ندخل إلى داخل النص القرآني، ونأخذ هذا النص على سبيل المثال: (لا إكراه في الدين)؛ لتطبيقه على فكرة هوية "الإنسان المسلم"، فإنه يكون التالي: اتفقنا أن المسلم هو مسلم لأنه قد سلّم مختارًا بما أنزله الله وحفظه في كتابه، ومن تلك المسلّمات أنه لا إكراه في الدين، وعليه، فكل من يُكره غيره على الدين أو للخروج من الدين أو للبقاء فيه، فهو بالضرورة قد تجاوز حدًّا من حدود الله؛ وبالتالي اختلّت هويته، وسقط حقّه في تعريفه عن نفسه بصفة "مسلم"، لأن المسلم الحق هو من أسلم وجهه لله باتّباع أوامره واجتناب نواهيه، فإذا قال الله: لا إكراه، فيعني لا إكراه؛ من التزم بذلك يكون قد التزم بصفة التسليم لله،

واستحقّ بالتالي وصف المسلم، ولم تضطرب هويته. وهذا في أهمّ شيء بالنسبة للإنسان المسلم (أي في الدين)، فكيف بما دونه؟

إن المسلم إنسان يُعرَّف، أول ما يُعرَّف به، من خلال عقيدته التي احتواها كتاب الله تعالى، وهويته تتشكّل وتتحدّد بناءً على ذلك. وليس معنى هذا أنه ليس للمسلم أن يحبّ مثلًا أرضه أو مكانًا بعينه، ولكن ليس ذلك هو الذي يحدّد هويته ويرسم له طريق تعامله مع الآخرين والوجود بأكمله من حوله. ولمّا قلنا إن تلك العقيدة تتشكّل من القيم والمبادئ والتعاليم والتشريعات العلوية الإلهية، فقد تبيّن من بين ذلك مركزية قيمة الحرية التي هي شرط أساسي لدخول الإسلام نفسه، كما هي قيمة مركزية في نصوص القرآن العظيم ذاته.

«أنا مسلم.. إذن أنا حر.. إذن أنا مدافع عن الحرية»

نقول، فلما تبيّن كل ذلك؛ فإن المسلم الحق هو الذي يعرف قيمة الحرية، ويُعظّمها ويُجلّها، ويشكر الله عليها ليل نهار بالمناداة بها والدعوة إليها، والذود عنها، وبتعزيز حضورها،

وباحترامها. أن تقول: "أنا مسلم"، فمعنى ذلك أنك مدافع شرس عن الحرية، بحيث تكون المسألة هكذا: "أنا مسلم، إذن أنا مدافع عن الحرية".

(2)

الإسلام: ثورة مستمرة

القرآن هو نداءٌ مستمرٌّ للثورة، الثورة على كل أشكال الظلم والفساد والقهر والتخلّف والسلبية، وعلى كل الانحرافات الفكرية والعقدية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأخلاقية، والمسلم الحقّ بتعريف القرآن هو إنسان دائم الثورة، مستمرّ الثورة، لا يهمد حتى يُوارى التراب.

الإسلام ثورة شاملة وجذرية لا تتوقّف بأي حال. وذلك جزءٌ من كينونة الإسلام؛ بمعنى أنّه لا إسلام بدون ثوريته تلك المتشكِّل بها والمتشكِّلة به.

وهذا الذي يفسّر تهافت وإجماع كل أنظمة الطغيان والتوريث عبر التاريخ لمحاربة هذا الدين والمؤمنين حقّ الإيمان به.

(3)

وثنية جديدة

يحتفل المسعودون كل عام بهذا اليوم الذي يسمونه "اليوم الوطني"، والذي نسميه نحن «اليوم الوثني»، كونها وثنية جديدة، حيث الوطن هو وثن جديد يُعبد من دون الله، فتُرتكب المحرّمات والفظائع باسمه ومن أجله... وهم (أي المسعودين) إنما يحتفلون بذلك لأن ابن سعود قرّر عليهم ذلك.

وماذا يهدف الاحتفال بهذا اليوم؟ ليس إلا من أجل التذكير بيوم إعلان إتمام قبضة آل سعود على المساحة الأكبر من جزيرة العرب، وإخضاع عموم المسلمين فيها لحكم الغاصبين، بما فيها الحجاز حيث المسجدان الحرام والنبوي.

وقد سيطر آل سعود عليها بفضل عوامل كثيرة، كان أهمها استخدامهم للوهابيين القتلة سفّاكي الدماء، ليستمروا بهم في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وديارهم وأعراضهم، وعامل

السلاح الأكثر تطورًا بعد ذلك، الذي زوّدهم البريطانيون به، والذي لولاه لقضى الإخوان على عبد العزيز بعد أن اشتعل الصراع بينهم وآل سعود، وكانت معركة السبلة (1929) أهم المعارك بينهم.

فقد انتهى التحالف إلى صدام دموي جرّاء رفض البريطانيين لمحاولات الإخوان التمدد وتجاوز الحدود المرسومة لهم، فسُحقوا، فلولا هذا الدعم البريطاني لكان اختلف الحال اليوم.

وهناك عامل آخر لا يقل أهمية، وهو استغلال آل سعود لجهل الناس وبدائيتهم، خاصة في نجد، وكان ذلك مدخلًا كبيرًا لهم ولابن عبد الوهاب قبل ذلك. وإلا، فلا يوجد أحد يتبع كلام ابن عبد الوهاب ولديه ذرة عقل. على أنه قد حذّر أخوه سليمان بن عبد الوهاب عامة الناس في نجد منه، ولكن الجهل كان أشد مما يُتصوَّر.

وهنا يظهر السؤال: ما الجديد الذي جاء به محمد بن عبد الوهاب؟

والجواب: أنّه انحطَّ بمفهوم التوحيد وشوّهه إلى الحد الذي مكّنه من استباحة دماء وأعراض وديار المسلمين، بحجة أنهم مشركون، أي إنهم غير موحدين على طريقته هو: «توحيد الناس تحت أحذية الطغاة».

والمصيبة أنه لا يزال إلى يومنا هذا منافقون وجهلة يسمونه "المجدِّد"! ونحن نقول: ماذا جدَّد؟ وبأيِّ حق استحقّ ذلك اللقب؟ والجواب: لم يُجدِّد، بل شوّه وحرّف، وفرّق وقتّل، واستباح كل المحرمات.

وهل من يعتبر عبادة الحجر شركًا قد أتى بشيء جديد؟ وهل كان الناس يعبدون الأحجار والقبور؟! وليكن ذلك، فهل قال الله: اقتلوهم؟ أم قال: ادعوهم بالتي هي أحسن؟ وقد جعل سبحانه الفصل في نهاية المطاف يوم الفصل.

أهم يريدون أن يزايدوا حتى على سيِّد الخلق محمد ﷺ الذي قال الله له فقط: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية: 21 - 22). "فعِظْ -أيها الرسول- المعرضين بما أُرْسِلْتَ به

إليهم، ولا تحزن على إعراضهم، إنما أنت واعظ لهم، ليس عليك إكراههم على الإيمان." (التفسير الميسر).

وما كان له أن يسود ذلك الاعتقاد والنهج الذي أتى به، لولا أنه وجد الحماية والدعم من ابن سعود، ولولا أن قوى الاستعمار رأت فيه الأداة الأمثل لضرب السلطنة العثمانية في حينها (التي هي استبدادية على كل حال، وغير إسلامية في الأصل، وهذا موضوع آخر)، ولتقسيم وتفتيت ما بقي من اجتماع هذه الأمة.

وبالفعل، استمر دعم قوى الاستعمار، وعلى رأسها بريطانيا، لهذا التيار الوهابي إلى يومنا هذا.

والنتيجة: تشويه الدين، وتحريف معانيه، وجعله أداة بيد الغاصبين والمحتلين والمستبدين، وتخريج ملايين المهووسين بالأضرحة والقبور، ودفع ملايين آخرين باتجاه الإلحاد وعداء الدين؛ فقد خُدعوا وصدقوا أن الإسلام هو ما جاء به ابن عبد الوهاب، ولم يعرفوا أن ذلك على النقيض تمامًا منه.

إن هذا اليوم الذي يحتفل به المسعودون كلَّ عامٍ لَهو ذكرى أليمة، بل فاجعة كبيرة؛ يومَ قامت سلطةُ الطاغوت على كافة الجزيرة، وهُمِّشت وهُشِّمت كلُّ صورةٍ لسلطة الجماهير، وكلُّ جهدٍ باتجاهها. ولو أن لدى آل سعود ذرة عقل، لما ذكّروا أبناء ضحاياهم بأيام قتلهم لآبائهم وأجدادهم، وغصبهم لديارهم، واستحلال دمائهم وأعراضهم بحجة عبادة القبور...

ومن المفارقات العجيبة أن الوهابية، التي شنّت حربًا لا هوادة فيها على ما سُمّي "عبادة القبور"، وحرّضت على تدمير الأضرحة وهدم المقامات، متهمة أصحابها بالشرك، قد أسّست لثقافة "عبادة أصحاب القصور"، حيث يُقدّس الحاكم ويُطاع دون مساءلة، ويُمنح الشرعية باسم الدين باعتباره المتحدث باسم الله، وهم (أي آل سعود وكهنة الوهابية) -دون غيرهم- من يحتكرون فهم "وتفسير" الدين.

وبدلًا من الدعوة إلى الشورى والعدل والحرية ومحاسبة الحكّام، التي دعا إليها الإسلام وهي من صميمه، تم ترسيخ الطاعة العمياء

لهم بوصفها من صميم العقيدة، وشرعنوا تحويل الخلافة الإسلامية من مفهومها القائم على البيعة والاختيار الحر، إلى سلطة وراثية استبدادية مغطاة بفتاوى دينية.. وهل نجح الوهابيون وآل سعود في شيء كما نجحوا في تشويه وتحريف الدين؟

فقد ربطوا طاعة الله بطاعة الولاة، قلبًا لمنطق القرآن، الذي ربط طاعة أولي الأمر -الذين هم منتخبون من الناس- بطاعة الله ورسوله. وهذا من أعظم تحريفاتهم وأخطرها. حيث يقولون: من أطاع الحاكم فقد أطاع الله، بينما القرآن لا يجعل كلمة "طاعة" منفردة لأولي الأمر، وإنما يربطها ويشترط لها طاعة الله ورسوله، وأن يكون أولو الأمر "مِنَّا" لا "عَلَيْنَا"، أي باختيارنا لا مفروضين علينا.

ورغم أنهم (كهنة الوهابية) يكررون: "تسمع وتطيع للحاكم في غير معصية"، إلا أنهم في نفس الوقت يقولون: "تسمع وتطيع، ولو رأيت الحاكم يزني ويلوط نصف ساعة يوميًّا على التلفاز!"، ويقولون: "حتى ولو كان الحاكم مغتصبًا، متغلبًا، فاسقًا، فاجرًا،

فلا تؤلّب العامة عليه، بل حبِّبهم فيه، واجعلهم عونًا له!!!". وهل هذا الذي يدعون إليه سوى الشرك الصراح البواح؟!

وإن تعجب، فاعجب من هذا: دعاة التوحيد (الوهابي) هم أكبر دعاة الشرك وأخطرهم على مفهوم التوحيد، فقد جعلوا الحكّام آلهة تُعبد من دون الله، في الوقت الذي يقولون فيه -للضحك على الذقون-: "تسمع وتطيع في غير معصية"، وهل هذا الشرك إلا أعظم وأفجر معصية؟!

نود القول: إن فرح واحتفال المسعودين بهذا «اليوم الوثني» لم يكن ليحدث لولا أنهم جهلة، لا يقرأون ولا يعون. فلو أن الواحد منهم قرأ شيئًا من تاريخ هذا الكيان الغاصب، لما أقدم على الاحتفال بيوم إعلان إخضاع المسلمين لحكم الغاصبين المعتدين الكافرين المحرّفين للدين.

ولكنه الجهل... قاتل الله الجهل، وقاتل الله آل سعود وكهنتهم الذين حرصوا كل الحرص على ترسيخ هذا الجهل وتعزيزه

وتقديسه، بل على تحويله إلى مفخرة يتفاخر بها المسعودون أمام العالم، فكونهم جهلة هو رمز فخار لهم. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(4)

الشورى والتوريث [١]

"الشورى والتوريث ضدان محال أن يجتمعا. فالشورى، بما هي تشارك وتداول وحوار وحرية وعدل وتفاهم وتقبل ومساواة وسعة، لا يمكن لها بحال أن تجتمع في آن واحد هي والتوريث، بما هو استبداد بالحكم، بحصره في سلالة واحدة دونا عن باقي الشعب / الأمة، ورفع كل من ينحدر منها فوق باقي فئات المجتمع، واعتبارها فوق المساءلة والحساب، أي مماثلة لله (تعالى الله) في ذلك؛ فهو تبارك وتعالى الوحيد الذي: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (الأنبياء: ٢٣)، وكل من سواه خاضع -لا بد- للسؤال والحساب.

فإذا كان التوريث، قضي على الشورى، وكان الاستبداد والإكراه وتكميم الأفواه والتسلط والاستئثار بالقرار والسلطة والمال، والظلم

---

[١]. من كتابي: المرجع الأعلى في الإسلام؛ نحو إعادة مركزية وهيمنة القرآن - الكيان السياسي الإسلامي.

والتفاوت والتمييز سلبا بين الناس. وإذا كانت الشورى، انتفى التوريث، وحل التشارك والتداول والحوار والتوافق وحرية الاختيار والكلام والاعتراض، والتساوي وحق المساءلة لمن يتولى شؤون الحكم، ومحاسبته من الناس الذين فوضوه باختيارهم. فلا شيء إذن يجمع بين الشورى والتوريث على الإطلاق، وإذا سمعت بكلمة (شورى) تحت نظام وراثي فاعلم أن ذلك من قبيل الدجل والاستحمار.

فلا وراثيات مطلقا في الإسلام، بأي صيغة، وكل الصيغ، دستورية أو غير دستورية، بل والدستورية أبشع وأفظع؛ لأنها تشرعن وتقنن ذلك التمييز الظالم بين الناس على أساس السلالة، وتجعل من أفراد تلك السلالة الحاكمة مشاركين لله تعالى، باعتبار أنهم فوق المساءلة عمليا، وحتى نظريا؛ لا يسألون وغيرهم يسأل. فيصبح كل من ينحدر من تلك السلالة الحاكمة إلها مشاركا لله في صفة هي له حصرا، تعالى الله سبحانه!!!"

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: 111].